أروقة النساء وحجراتهم في بيوت مدينة غدامس منذ بداية العصر الفاطمي حتى نهاية العصر المملوكي (358- 932هـ/ 968- 1517م).

فتحية عبد العزيز محمد الشامخ
قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم سلوق، جامعة بنغازي، ليبيا
fthytalqwry9@gmail.com

ملخص البحث

لعبت المرأة دوراً مهما في مجتمع مدينة غدامس ، فكانت تقضى معظم أوقاتها في المنزل تطحن وتصنع الطعام وتهتم بتربية الأولاد، وتحيك الصوف والقطن، وتجلب الماء من الآبار، كما كانت تهيئ الوقود بجلب الحطب من الغابة، وفى القرى تعمل النسوة مع أزواجهن في الحقول ثم تعود الى الجزء المخصص للنساء لفحص منتجاتها التي جلبتها من الحقول، كان لبعضهن بيت ومكن خاص يقومن فيه بالأعمال التجارية ونلاحظ أن الأعمال التي كانت تقوم بها المرأة منذ بداية العصر الفاطمي حتى نهاية العصر المملوكي تتشابه إلى حد ما مع ما تقوم به المرأة في مسكنها الخاص.

وتعد بيوت مدينة غدامس القديمة من الأمثلة القليلة الباقية في ليبيا التي تعتبر نموذجا للمدينة الإسلامية التقليدية، والتي ما زالت محتفظة بطابعها الأصيل، المستمد من التراث العربي الإسلامي الذي ظهر في شكلها العام، والذي يمتاز بالتماسك ووحدة الأجزاء، حيث تعد مدينة تاريخية واثرية. وتهدف الدراسة إلى إلقاء الضوء على جانب مهم من تخطيط المنازل والقاعات والغرف المخصصة للنساء في المدينة القديمة، ومعرفة أنواع الزخارف التي استخدمها أهل غدامس، وطرق تنفيذ هذه الزخارف، والمواد الخام المستخدمة، والألوان وكيفية تحضيرها، ومن الذي كان ينفذ هذه الزخارف.

مدينة غدامس: تقع إلى الجنوب الغربي من طرابلس بنحو 600 كم، عند نقطة حدودية تتلاقى فيها حدود كل من تونس، والجزائر، مع الحدود الليبية. ذكرها كثير من الرحالة والمؤرخين في كتاباتهم، فيقول عنها البكري، "غدامس مدينة لطيفة، كثيرة النخل والمياه، وأهلها بربر مسلمون، وأكثر طعام أهل غدامس التمر"، ولا يعرف على وجه التحديد زمن تأسيس المدينة، وتذكر كثير من الكتابات أنها معمورة منذ عصور ما قبل التاريخ، وفى سنة 19 ق.م احتلها الرومان، وبقيت

تابعة لهم حتى الفتح الإسلامي، الذي تم على يد القائد عقبة بن نافع سنة 42 هـ، عندما غزا أفريقية، فافتتح غدامس. وتدين غدامس في نشأتها لوجود عين ماء غنية منذ القدم هي عين الفرس لوحة، والتي كانت السبب في استمرار الحياة في المدينة، ولقد اشتهر أهل غدامس منذ زمن بعيد بالتجارة، نظرا لموقعها الاستراتيجي عبر الصحراء، وسكان غدامس شيدوا مدينتهم على طراز معماري مميز.

محاور الدراسة

ينقسم البحث الى مقدمة وتمهيد وثلاث محاور، المحور الأول منها بعنوان أروقة النساء في بيوت غدامس، والمحور الثاني حجرات النساء في بيوت غدامس، والمحور الثالث التأثيرات المحلية والعربية الإسلامية على أروقة النساء وحجراتهم في مدينة غدامس منذ بداية العصر الفاطمي حتى نهاية العصر المملوكي، ثم اهم نتائج التي توصلت اليها من خلال دراسة موضوع البحث.

مقدمة:

تختص البيوت في مدينة غدامس بالطراز المعماري الغدامسي الذى ظهر واضحاً في أحياء كثيرة من المدينة، تلاصقها وترابطها مع الأزقة المسقوفة هي علامتها الفارقة، الهندسة المعمارية المميزة التي بُنيت بها البيوت وارتباط ذلك بطريقة غريبة مع الأزقة والشوارع جعلتها تبدو للزائر وكأنها ممرات وأروقة.

لعبت المرأة دوراً مهما في مجتمع مدينة غدامس ، فكانت تقضى معظم أوقاتها في المنزل تطحن وتصنع الطعام وتهتم بتربية الأولاد، وتحيك الصوف والقطن، وتجلب الماء من الآبار، كما كانت تهيئ الوقود بجلب الحطب من الغابة، وفى القرى تعمل النسوة مع أزواجهن في الحقول ثم تعود الى الجزء المخصص للنساء لفحص منتجاتها التي جلبتها من الحقول، وكان لبعضهن بيت ومكان خاص يقومن فيه بالأعمال التجارية ونلاحظ أن الأعمال التي كانت تقوم بها المرأة منذ بداية العصر الفاطمي حتى نهاية العصر المملوكي تتشابه إلى حد ما مع ما تقوم به المرأة في مسكنها الخاص.

وتعد بيوت مدينة غدامس القديمة من الأمثلة القليلة الباقية في ليبيا التي تعتبر نموذجا للمدينة الإسلامية التقليدية، والتي ما زالت محتفظة بطابعها الأصيل، المستمد من التراث العربي الإسلامي الذي ظهر في شكلها العام، والذي يمتاز بالتماسك ووحدة الأجزاء، حيث تعد مدينة تاريخية وأثرية.

حيث خصصت للنساء أروقة وحجرات حفظ لها خصوصيتها ومكانتها مع الاحتفاظ على التقاليد العربية الإسلامية، فجعل لهن أركانا خاصة بيهن وهو سبب من أسباب اختياري لموضوع البحث الذي تكمن عناصره في العناصر الآتية: -

أهداف البحث:

تحديد الأساليب المتبعة في بناء بيوت غدامس خلال العصر الإسلامي، من حيث الطرق والخامات وأنواعها.

وتهدف الدراسة إلى إلقاء الضوء على جانب مهم من تخطيط المنازل والقاعات والغرف المخصصة للنساء في المدينة القديمة، ومعرفة أنواع الزخارف التي استخدمها أهل غدامس، وطرق تنفيذ هذه الزخارف، والمواد الخام المستخدمة، والألوان وكيفية تحضيرها، ومن الذي كان ينفذ هذه الزخارف.

يهدف هذا البحث بصفة رئيسية إلى التعريف ببيوت مدينة غدامس والأماكن المخصصة للنساء في تلك البيوت من خلال التعريف بأهم الأروقة الخاصة بالنساء في بيوت غدامس منذ بداية العصر الفاطمي حتى نهاية العصر المملوكي (358-932ه/ 968- 1517م).

أهمية البحث:

يساعد هذا البحث في تزويد جميع الدراسات التاريخية المهتمة بدور المرأة الليبية ومكانتها منذ بداية العصر الفاطمي حتى نهاية العصر المملوكي (358- 932ه/ 968- 1517م).

حدود البحث

الحدود الزمنية: الفترة الممتدة منذ بداية العصر الفاطمي حتى نهاية العصر المملوكي (358- 932ه/ 968- 1517م)..

الحدود المكانية: مدينة غدامس الليبية وتحديدا أروقة النساء وحجراتهم في البيت الغدامسي مدينة غدامس القديمة.

منهج البحث:

سوف أعتمد في دراستي على المنهج السردي التاريخي والمنهج الوصفي.

تمهيد

فتحت غدامس ودخلت عهد الإسلام [1,9,13,11] ونالت المرأة حقوقها في ظل الحكم الإسلامي على المبادئ الآتية: إن المرأة كالرجل في الإنسانية سواء بسواء، حيث يقول الله عز وجل في محكم آياته (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) (سورة النساء الآية رقم 1)، ويقول علية الصلاة والسلام (النساء شقائق الرجال) سنن الترمذي، حديث رقم (105).

ومن هنا نجد أن الإسلام قد أحل للمرأة مكانة لائقة في جميع المجلات الإنسانية والاجتماعية والحقوقية ومنها في توفير مسكن لائق بها.

حيث لعبت المرأة الغدامسية دوراً مهما في مجتمع ممالك وسط أفريقيا، فكانت تقضى معظم أوقاتها في المنزل تطحن وتصنع الطعام وتهتم بتربية الأولاد، وتحيك الصوف والقطن، وتجلب الماء من الآبار، كما كانت تهيئ الوقود بجلب الحطب من الغابة،

وفى القرى تعمل النسوة مع أزواجهن في الحقول، وتصنع المرأة الغذاء وتحمله إلى زوجها في الحقل، بل كان بعضهن يقوم بالأعمال التجارية[15] ونلاحظ أن الأعمال التي كانت تقوم بها المرأة في مجتمع ممالك وسط أفريقيا تتشابه إلى حد ما مع ما تقوم به المرأة الليبية وخاصة المرأة الغدامسية[16].

وغدامس: يفتح أوله ويضم أخره، وهي عجمية بربرية، فيما أحسب[4] ، وهي مدينة بالمغرب ثم في جنوبه ضاربة في بلاد السودان، بعد بلاد زعوان[27] ، تزيغ فيها الجلود القداسية وهي من أجود أنواع الدباغ لا شي يفوقها في الجودة كأنها بنات الخزنى النعومة لإشراف في وسطها عين أغلبها نبات عجيب رومي بغض الماني بها وبقسمة اهلها أقساط معلومة[26] وذكرها الحموى بانها "بفتح أوله ويضم، مدينة بالمغرب ضاربة في جنوبه في بلاد السودان، تدبغ فيها الجلود الغدامسية وهى من أجود أنواع الجلود"[5].

تاريخ وجودها كما قال العلامة ابن خلدون يرجع إلي ما قبل التاريخ ويؤيد هذا القول بعض المعالم الأثرية التي وجدت بها، وسماها الشيخ الطاهر احمد الزاوي في كتابة معجم البلدان الليبية (رادمس، ومدينة الجلود، وسيدا موس) وقال أنها من أقدم مراكز الحضارة في الصحراء الكبرى ومساحتها نحو 160هكتار ويحيط بها سور شبه دائرى، عن تخطيط مدينة غدامس وآثارها انظر: المؤبر، مدينة غدامس الليبية :ويعرض فيها للمدينة وسياقها الجغرافي والتاريخي والاقتصادي والاجتماعي والصحي، ثم يتناول تخطيط المدينة وعمائرها الحربية (الأسوار والأبواب والمداخل)،والدينية (الجوامع والمساجد ومساجد المزارع والكتاتيب والزوايا)، والمدنية، وشبكة الشوارع والأسواق والمجالس العامة والميادين، ومصادر المياه وقنوات الري، ويختتمها بفصل مقارنة بين غدامس وواحة سيوة بمصر، وهى ترسم صورة عامة فى المجمل، وتفتح الباب لدراسات تحليلية أكثر تعمقًا[20].

تقع في الجنوب الغربي من طرابلس عند التقاء الحدود الليبية مع تونس والجزائر(خريطة رقم 1)، وتعد من المراكز الرئيسية في ليبيا حيث أسهمت إسهاما فعالا

في تنشيط تجارة القوافل عبر الصحراء[12,14] ، وقامت بدور كبير في إنعاش التبادل التجاري ورواجه بين جنوب الصحراء وشمالها مما دفع ذلك أهلها إلى بناء الأسواق التي احتوت على العديد من البضائع التجارية المحلية أهمها الملابس الصوفية ودباغة الجلود التي أصبحت من أجود الدباغ ولا يفوقها شيء في الجودة حتى يقال كأنها ثياب الخز في النعومة والإشراقة[6].

خريطة مدينة غدامس

ومن المرجح أن تكون نساء غدامس قد قمن على هذه الجلود صناعات عديدة كالأحذية والحقائب، أو بعض الأدوات الجلدية وأيضا صناعة السروج، وبالإضافة إلى ما في أسواقها من منتجات محلية فإنها تعج بتلك السلع التي يحملها التجار معهم من بلدانهم ولاسيما من ممالك جنوب الصحراء أو مصر أو بعض مناطق المغرب الإسلامي، وهذا بدوره اعتمد على العديد من الطرق التجارية التي تسير من خلالها القوافل حاملة البضائع من وإلى غدامس لهذا كان من الطبيعي أن تتوفر عدة طرق تجارية منها ما يصل إلى كل من طرابلس وجنوب تونس والجزائر وأخرى تتجه جنوبا إلى ممالك جنوب الصحراء عن طريق توات وتمبكتو أو غات وكانم أو مرزق وبرنو [33].

وبنيت منازل غدامس بأنواع مختلفة من مواد البناء الطبيعية، ففيها الأحجار الرملية والبيضاء التي تصلح لتبليط الأرض والرخام، وفيها الجيرية الخفيفة التي تصلح للبناء والأحجار السوداء تصلح للأسقف والأقواس والجبس الذي ظهرت عليه تفاصيل العمارة الفاطمية، وفيها الطين الذي يصنع منة الفخار على اختلاف أنواعه[10] .

تُعتبر غدامس القديمة نموذجاً للمدينة الإسلامية التقليدية بأبعادها الصحراوية والإفريقية، حيث يتكوَّن تصميم المدينة أساسا من ميزان القادوس: القادوس مقياس أو ساعة مائية تُقسِّم المياه على المساهمين. وهو عبارة عن بناء قبوي و تجويف تمر تحته المياه ومنه تتفرع على خمس سواقي ، والأزقة المغطاة : وهي ممرات مسقوفة ضيقة يتراوح عرضها ما بين 1.5 إلى 3 أمتار ، تتميز بتعرجاتها التي توفِّر تهوية ملائمة بفضل فتحات للتهوية والإضاءة، وعلى حافة الزقاق توجد المباني التي يشكل امتدادها عنصر التغطية و تتخلل الزقاق مجموعة من المجالس والساحات المفتوحة والمغطاة ، والمصاطب و الجلسات : وهي أجسام حجرية ثابتة يتراوح ارتفاعها ما بين ثلث ونصف المتر، والساحات هي عبارة عن فراغات مفتوحة بها جلسات من الأحجار بالإضافة لوجود حجرة تعرف بحجرة الأعيان كما أنّها تحوى العديد من المحلات التجارية وهي موجودة بكل زقاق وتؤدى دور السوق كما أنّها تستخدم في المناسبات [31]، والتوجيه وعلامات التمييز: تُقسِّم الأبواب الداخلية الزقاق الطويل إلى فراغات عديدة وهو أمر يتحقَّق أيضا بتكرار الأبواب القوسية والمترادفة خلف بعضها البعض و كذلك عن طريق الفتحات السماوية التي تعْطى بقعة مضيئة ، ومن نقاط التمييز وجود علامات التنبيه مثل خروج كتلة بنائية محيطة بالزقاق على النظام الخطي و المنتظم وبروزها في الزقاق قبل أن يتغير مساره إضافة للدرجات التي تظهر كمدرج في الساحات ، وهذه التصاميم وجدت في بيوت غدامس خلال الفترة منذ بداية العصر الفاطمي حتى نهاية العصر المملوكي (358- 932ه/ 968- 1517م) [29].

المحور الأول منها بعنوان أروقة النساء في بيوت غدامس

تتكون أروقة النساء في بيوت غدامس من لبن ذي أبعاد مختلفة مصنوع من خليط من أتربة طينية معروفة محليا، كما تستخدم الحجارة والصخور المحلية[31] ، ويلاحظ أن الحائط عادة ما يفقد الاستقامة فزواياه غير قائمة[22] ، وعرض الحائط يكون في المتوسط 75.0م إلى 80.0م، وخلافا لخارج المنزل فإن داخله يطلى في جنباته بألوان حمراء، وتتكون السقوف من أعمدة خشبية وحصائر من الجريد تغطى بالطين، وعادة ما تكون الأبنية طابقا إلى طابقين في السواد الأعظم[10].

وتقام الأروقة عادة في مقدمة الأواوين والحجر في الطابق الأرضي وأمام الغرف في الطابق العلوي بشكل ممر مكشوف الوجه وسقفه معقود من الأعلى بمجموعة من العقود، والعقد: بفتح العين وسكون القاف، جمع عقود وأعقاد، وهو ما عقد من البناء في هيئة القوس، والعقد من الأعداد العشرة والعشرون إلى التسعين، أما بالنسبة للعقد في الاصطلاح المعماري الأثري فإن العقد أو القنطرة هي وحدة معمارية بنائية ذات هيئة مقوسة أياً كان نوعها، وهو كذلك طاق البناء المعقود، وهو البناء الذي يكون سقفه معقود، أو جعلت له عقود، وقد اتخذت الوحدة المعمارية البنائية المقوسة أشكالاً عدة، ترفعت من نوعين أساسين هما: العقد نصف دائري، والعقد المدبب، ومن هذين النوعين تفرعت أنواع أخرى من العقود، وتتكون من مجموعة هذه الأعمدة بوائك توضع فوقها العقود لتحمل السقف أو أن السقف يستند عليها مباشرة وذلك دون الحاجة العقود وكانت هذه الأروقة تطل على جانب واحد أو جانبين أو تحيط بالصحن من جميع جهاته وليس غريبا على العمارة الغدامسية ومنذ عصور قديمة إستخدام الأروقة[8].

النوافذ والكواء

إن استخدام النوافذ كان معالجة مناخية ناجمة في توفير الضوء المباشر بواسطة النوافذ التي تطل معظمها على الصحن، والحصول على التهوية في الوقت الذي امتازت به الجدران الخارجية بقلة نوافذها من الخارج، والراجح أن المسلمين قد استخدموا النوافذ أو

الكواة الصغيرة في أعالي البيوت منذ العصر الإسلامي المبكر ((وكانت حافتها السفلى مرتفعة عن ارضية الطابق بأكثر من مترين حتى لا يمكن لشخص متوسط الطول ان يطل منها على الجيران حتى ولو وقف فوق كرسي))، لان المسلمين كانوا يحرصون على حرمة الناس داخل بيوتهم ومنع الاشراف على منازل الاخرين [32].

المطبخ

ويعد المطبخ أحد مرافق الدار وهو الموضع الذي يطبخ فيه الطعام ويحتل هذا المرفق أحد أركان البيت، وكان يشيد في مكان بعيد عن مصدر هبوب الرياح، وذلك لمنع تصاعد الدخان الى المرافق والوحدات السكنية الأخرى في البيت[21] ، وربما اتخذت بعض المطابخ في أعالي السطوح حتى ولو اتسعت ساحة البيت كما كانت تنصب الى جانبها بعض التنانير .و ذكر انه تم العثور في كثير من بيوت غدامس على مطبخ يقع في الجهة الشمالية الشرقية للبيوت، ووجد في داخل هذه الحجرة على أثر لرماد وكسر لأطباق فخارية وزجاجية وموقد ترجع الى العصر المملوك، وتتصل بهذه الحجر حجرة مجاورة لها قد خصصت لغسل الأواني والصحون حيث وجدت بقايا عدة احواض معمولة بالجص والآجر وبقايا الزفت وبلاليع(مفردها البالوعة او ما يطلق عليها البالوعة واشتقاقها من البلع) [2]كثيرة ذات مجاري خاصة لتصريف المياه وهذه المجاري تؤدي الى ساقية تمر فوق مجموعة من الجرار الأسطوانية الشكل مدببة ومثقبة من الأسفل وقد رصفت الواحدة جنب الأخرى بصورة عمودية لتصريف المياه المتخلفة وكانت مجاريها المتصلة مشيدة بالآجر والجص وتؤدي الى الحجرة حيث تنصب الى بالوعة تقع في وسط الدار وبواسطة هذه الجرار يمكن ترشيح هذه المياه المتخلفة والمواد العضوية الأخرى التي تتراكم داخل الجرار فتسيل المياه الصافية الى بلاليع وبهذه الطريقة تمنع حصول الروائحة الكريهة فيها[31]

الحمامات

الحمام/ لفظ اطلق عليه من قولهم حمت الشيء تحميما، وحمته حما، اذا سخنته، ومن ثم سميت الحمى لأنها تسخن البدن، أكثر الناس من بناء الحمامات استجابة لتعاليم

الإسلام التي تدعو الى النظافة، وهذه الحمامات في اغلب بيوت غدامس حافظا على الخصوصية وخاصة النساء، أو حمامات خاصة بالأغنياء والموسرين والحكام بنوها في دورهم مما جعلهم في غنى عن الحمامات العامة[2] .

السلالم

من مرافق البيت الأخرى، وهي مجموعة من الدرجات، وقد فرقت العرب بين ما يرتقى به وما ينحدر فيه، فأطلقوا على ما يرتقى اليه للطابق العلوي درجا وما ينحدر فيه الى الطابق الأسفل دركا، لهذا قيل درجات الجنة ودركات النار، ويعد السلم من الأجزاء المهمة في البيت ويمكن بواسطة البيوت الوصول الى الطابق العلوي أو السطح ويختلف موقعه وتصميمه باختلاف الأبنية وموادها الإنشائية، ويقال أن تشييد السلم يجب أن يكون طول الدرجات أو عرضها مساويا عند مدخل السلم والدرجات والصحن ونهاية السلم، كما يراعى فيها أن تكون ارتفاع الدرجة مناسبا ومساويا في كل السلم، وان تكون موادها خشنة حتى لا تسبب الانزلاق .

السطوح

السطوح: مفردها سطح وهو ظهر البيت "كانت أسطح البيوت في غدامس للنساء، يمنع على الرجال الصعود إليها، تتحرك النساء بين الأسطح، وينذر نزولهن للشارع إلا لتعبئة المياه، أما الرجال فيحتلون الأزقة، والأزقة نفسها هي المضافة والمستراح اليومي لهم"، يقول حواص، واصفاً كيف هيأ البيت الغدامسي الخصوصية لأهله، يتمتعون بالتهوية من فتحات في سقف البيت تسمح بمرور الهواء والإنارة الطبيعية، أزقة المدينة المليئة بمجالس الرجال (الركابة) بها فتحات قليلة تسمح بمرور الشمس والهواء لداخلها. "كانت لغدامس هُوية"[24] .

ويغلب عليها البساطة، وتكون مسقوفة في غالبها بجذوع النخيل وفروع ومن أشجار "الأثل والبرمبخ"[24] وغالباً لا يملط السقف من أسفل ولكن يملط من أعلى سطحه بمونة من الطين والرمل والجبس لزيادة تماسكها، كما أن سقوف بعض الأبنية في

مدينة غات غير مطرورة "ممزوجة" بالطين، لأن غرض السقف أحياناً ليس الوقاية من المطر، بل للحد من أشعة الشمس، والامطار نادراً ما تسقط على المدينة[29] .

المجاز (سقيفه):

هو عبارة عن ممر يبدأ بالمدخل وينتهي بالفناء، تصميمه يكون على شكل ممر منكسر أو مستقيم يتكون من قسم واحد أو قسمين متصلين ببعضهما بوساطة فتحات متوجة بعقود، وسقفه يشبه سقف البيت وهو في الغالب مستوي من الخشب، ولم يعطى المجاز أهمية كبيرة في الأبنية التاريخية الصحراوية على الرغم من وظيفته الأساسية في البناء المعماري، ويعتبر أفضل مكان يمضي فيه سكان البيت لطراوة الهواء" برودته[25]

المحور الثاني حجرات النساء في بيوت غدامس

يُعد البيت الغدامسي هو العنصر المهم للقيمة الثقافية والجمالية لمدينة غدامس بما يحمله من خصوصية تجعلهُ في حد ذاته تحفة فنية تحمل بين طيات جدرانها موروث ثقافي متراكم عبر السنين، فصُبغت الحوائط بزاهي الألوان و توشحت بالأدوات المعلقة والنقوش المعبرة عن روح المكان و رهافة حس و ذوق ساكنيه، و لم تقف أهمية البيت الغدامسي عند هذه القيمة الجمالية فقط، بل أنه في الأساس صُمم ليعكس عبقرية هندسية بديعة؛ إذ أن البيت الغدامسي مكون من أكثر من دور، والملاحظ أن الدور العلوي عادة ما يكون أوسع من السفلي؛ لأنه يمثل جزء من سقف الشارع أو الزقاق المجاور له، فيما يُعتبر السطح جزء مهم من منظومة التواصل الاجتماعي بين السكان، حيث أن كل البيوت متصلة مع بعضها البعض من الأسطح، والتي تمثل البراح الحر لحركة النسوة فاللقاءات والزيارات بين النساء تتم عبر التنقل فيما بين الأسطح[24]

يعتبر البيت الغدامسي أحد النماذج النادرة التي عمرت منذ العصر الفاطمي ورغم التطور العام فأنّ هذا النموذج من الطرز المعماري التي لم تتأثر بما يجرى حولها من تغيير وتحديث[24]

ومن أقسام البيت الحجر ومنها ما خاص بالنساء وتحيط بالصحن، ومجموعة منها على الأغلب تطل عليه مباشرة، أما من جهتين أو أكثر ويتقدم بعض منها رواق أو سقيفة تفتح عليه وتتمثل هذه الحجر في كل بيوت المدينة القديمة بغدامس تم تصميمها بطريقة دقيقة تراعي الخصوصية البيئية والاجتماعية في المدينة، حيث لا وجود لنوافذ تفتح على الخارج، وبيوت المدينة بيضاء بأسطح متلاصقة"، والمدينة تم تصميمها بطريقة ذكية تراعي الظروف المناخية والاجتماعية في ذلك الوقت.

وخصصت نساء غدامس حجرة لصناعة الجرود[26,7] ، حيث عرفت حرفة صناعة نسج الجرود في المناطق الجبلية الليبية منذ القدم، واهتم بها السكان اهتماما كبيرا، وبحكم البداوة السائدة في جميع المناطق الجبلية، وانتشار تربية الحيوانات بها، فَقد كانَت تنسج الجرود من صوف الأغنام حيث كانت تشغل المرتبة الأولى في منتجات النسيج في ذلك الوقت.[19]

وفى البيوت ذات المساحات الكبيرة خصص لهم حجرات مستقله بهن تحفظ سترهم عن باقي المنزل، بالإضافة الى المداخل المنكسرة[24]

المحور الثالث التأثيرات المحلية والعربية الإسلامية على أروقة النساء وحجراتهم في مدينة غدامس منذ بداية العصر الفاطمي حتى نهاية العصر المملوكي

وظهرت التأثيرات المحلية على أروقة النساء وحجراتهم في مدينة غدامس منذ بداية العصر الفاطمي حتى نهاية العصر المملوكي في ارتفاع المنزل من 10 إلى 13 متر [18]، وطلى الجدران الخارجية بالون الأبيض، والمنطقة العلوية من الجدار فتغطى بالجبس ثم تبيّض وتشكّل بالأشكال المثلثة، للمنزل الغدامسي عدد قليل من الفتحات يتراوح من 2 إلى 3 لكل واجهة على الأكثر [17].

ومن التأثيرات المحلية على الحوائط: المادة الأساسية لبناء الحوائط هي الطوب ويعتبر سمك الحائط ومادته عند البناء وحسب الارتفاع فعند سطح الأرض يكون بسمك 75 سم وبعد ارتفاع 3 متر يتم تغيير الطوب ليصبح سمكه 60 سم ومن 5 إلى 6 أمتار يصبح سمكه 50 سم فقط [23].

وكذلك السقف يصنع من أخشاب النخيل والجريد عدا بعض الأسطح البسيطة التي يصنعونها بالأحجار الجيرية الخفيفة والجبس ، والأبواب: عادة تصنّع من خشب النخيل (السنور) ويرص على هيئة ألواح متتالية ومثبتة على ألواح من الخشب المحلي وتكون جميعها مربوطة بواسطة الحبال، والشبابيك: عبارة عن فتحات صغيرة ومرتفعة في الجدار, وتأخذ عدة أشكال منها ما هو مستطيل أو مربع ومنها ما هو مثلث، والطاقات: وهي عبارة عن فتحة داخلية في الحائط غير نافذة ولكنها مستخلصة من الحائط ولها عدة استعمالات كوضع وسائل الإضاءة فيها أو جرار الماء أو المباخر وغيرها[23] .

تبنى المباني في غدامس من مواد أغلبها متوفرة محليا ومن نفس البيئة وأهمها:

- الحجارة: تستخدم بقلة في البناء حيث استخدمت في القواعد أو في المنطقة السفلى من الجدران حتى ارتفاع متر ونصف.
- الطوب الطيني: وهو الذى يستخدم في بناء الجدران والتقسيمات والسلالم والاقبية
- الجبس: ويستخدم في الأرضيات وفي الجدران وكذلك في بناء القباب.
- الجير: يستخدم في تبييض الجدران.
- النخيل: وتستخدم جذوعه في السقف كما تستخدم في لوحات الأبواب والخزائن الحائطية، كما يستخدم الجريد في الأرضيات وبعض الأبواب، أمّا سعف النخيل فيستخدم وحده لمنع تسرب الجبس إلى الطابق الأسفل

أما التأثيرات الإسلامية وهي متمثلة في فراغ السطح الذى لا تقل ارتفاعات جدرانه عن المترين وكذلك حجرة الشرفة وممرات النساء التي اتسمت بالخصوصية [30].

نتائج البحث:

ومن خلال دراسة موضوع البحث توصلت الى عدة نتائج منها: -

- ألقت الدراسة الضوء على أن الليبيين لم يفرضوا طابعهم الفني أو طرازهم المعماري على غدامس بصفة خاصة، والذي يتضح من اساليبهم الفنية وتقاليدهم المعمارية، والتي اصطبغت هي الأخرى بالتراث القومي المحلي السائد في مدينة غدامس مع الطابع الإسلامي.
- أكدت الدراسة على أن الإرث القومي والإسلامي العميق الأصول والجذور الذي توارثه الحرفيون والصناع في غدامس جيلاً بعد جيل كان يجري منهم مجرى الدم في العروق، وكانت أصوله راسخة وجذوره متعمقة، فلا سبيل لطمسها ولا استطاعة لنسيانها.
- ادرك البحث مكانة النساء في مدينة غدامس من خلال توفير وسائل الراحة من خلال بناء أروقة وحجرات خاصة بهن في كل بيوت غدامس.
- شكلت حجرات النساء في بيوت غدامس وحده خاصة بهن لممارسة حياتهن اليومية بكل راحة.
- أظهرت الدراسة التاثيرات المحلية على حجرات واروقة النساء في بيوت غدامس منذ بداية العصر الفاطمى حتى نهاية العصر المملوكى (358- 932ه/ 968- 1517م).

قائمة المصادر والمراجع

أولا المصادر والمراجع العربية: -

1. ابن عذاري، (محمد بن عذاري المراكشي ت نهاية القرن السابع الهجري) ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 1، دار صادر، بيروت، 1950 م.

2. العسكري، ابو هلال: التخليص في معرفة أسماء الأشياء، تحقيق عوة حسن، مطبوعات مجمع اللغة بدمشق، 1389م، ج1، ص 269.
3. الصابي، ابي حسن هلال بن المحسن، رسوم دار الخلافة، مطبعة العامل، بغداد 383 أ هـ.
4. مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، (د.ت).
5. ياقوت، (شهاب الدين أبي الله الرومي الحموى، ت626هـ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1996م، ج4، ص 187.
6. اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن واضح بن جعفر: كتاب البلدان، مطبعة أبريل، ليدن، 1891، (د ط) ، ص ٧٤، 345.
7. دعبس، يسرى: متاحف التراث الشعبي والجذب السياحي، سلسلة الدراسات السياحية والمتحفية، الملتقى العربي للإبداع والتنمية، الإسكندرية، 2004م، ص 168–169.
8. رزق، عاصم محمد: معجم مصطلحات العمارة والفنون وكذا، دللي (ولفرد جوزف)، العمارة العربية بمصر، في شرح المميزات البنائية الرئيسية للطراز العربي، ترجمة محمود أحمد، أشرف على إعداد الطبعة وقدم لها محمد أبو العمائم، سلسلة الألف كتاب الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000م، ص20.
9. روسي، إتوري : ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، ترجمة: خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب (د.م)، 1991م
10. سعد، عبد الحميد: موقف ليبيا فيما بين قيام خلافة الفاطميين في إفريقية وانتقالهم إلى مصر، مجلة كلية الآداب والتربية، المطبعة الأهلية،1958م ، م1، ص 224.
11. مؤنس، حسين: فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، د.ت)
12. البابور، منصور: غدامس التحضر والقاعدة الاقتصادية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٩٠م، ط٢، ص ٢٤.
13. بازامه ، محمد مصطفى : تاريخ ليبيا، مؤسسة ناصر للثقافة (د.م، د.ت)

14. التكنيك، جميلة محمد: مملكة سنغاي الإسلامية، منشورات مركز جهاد الليبيين، طرابلس، ١٩٩٨م، ط١، ص ١٣٠.
15. حسن، فاطمة: دور قبيلة نفوسه في تاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع للهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، 2009م، ص 179.
16. الدكور، فضل كلود: الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم من 600-1000هـ، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1998م.
17. سلامة، حسن رمضان: جغرافية الأقاليم الجافة، دار المسيرة، عمان، 2010م، ص94.
18. سليمان، الهادي على: العمارة الداخلية والبيئة الصحراوية: ميدان البحث مدينة غدامس الليبية، أبحاث المؤتمر السنوي الثاني والعشرين لتاريخ العلوم عند العرب سوريا، 2001م، ص445.
19. الطاهر، عبد الجليل: المجتمع الليبي دراسات اجتماعية وانتروبولوجية، صيدا بيروت المكتبة العصرية، 1969م، ص 11.
20. الزاوي، الطاهر: معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس، 1968م، ص24.
21. عبد الوهاب، حسن: الآثار الفاطمية بين تونس والقاهرة، المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية، تونس 18 – 29 مايو 1963م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1965م، ص 365 – 366.
22. عبد الوهاب، حسن: المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية، مجلة المجلة، السنة الثالثة، العد 27، مارس 1959م، ص 33.
23. عبد الرحمن، نيروز نزهات: التصميم الداخلي للبيت الغدامسي التقليدي: دراسة وصفية تحليلية، رسالة ماجستير، كلية العمارة والفنون الإسلامية، جامعة العلوم الإسلامية العالمية الأردن، 2016م، ص118-121.
24. عبد الرحيم، عاطف علي: زخارف المنازل بمدينة غدامس القديمة في ليبيا، مجلة كلية الآداب، ع40، جامعة سوهاج، مصر، 2016م، ص 340-349.

25. البلوشي وآخرون، على مسعود: موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا، الدار العربية للكتاب، 1980م، ج1، ص108.

26. علي، محمد مختار: الحرف التقليدية الصحراوية، دار المعرفة، طرابلس، 2005م، ص 153.

27. عمر،المدني سعيد :مدينة غدامس ودورها التاريخي خلال القرن التاسع عشر، بحث في المؤتمر الدولي السابع من التجارة والتجارة المنستير، 2014م، ص2.

28. غانم، عماد: غدامس فيرحلة رولفس الأول إلى ليبيا أواخر 1864م، أعمال الندوة العلمية التاريخية، تقديم نور الدين الثني، منشورات مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية، 2003م، ص241.

29. الغدامسى، أحمد محمد مصطفى عز الدين: تاريخ غدامس القديم والحديث، مطابع مدكور، القاهرة، 1975م، ص15.

30. ليون،جون فرانسيس: من طرابلس إلى فزان (مذكرات الرحالة الإنجليزي جون فرانسيس ليون سنة 1818)، د. ط ، ص ص 127_128.

31. نورالدين، مصطفى: المؤثرات الإسلامية في تشكيل النسيج المعماري لمدين غدامس (664 – 1951م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2008م، ص116–119.

32. وزيري، يحيي: العمارة الإسلامية والبيئة، الكويت، 2005م، ص 95.

المراجع الأجنبية: –

33. Abu Bahen A: Britaun, the sahara and Western Sudan (1861-1888) Clarendom Press, Oxford, 1964, p. 113